# الدلائل الإسلامية في أدب محمد عبد الحليم عبد الله
## (دراسة تحليلية)
# Islamic Connotations in the Literature of Muhammad Abdel Halim Abdullah
## (An Analytical Study)

د. شيبا رحمان
الأستاذ المساعد في كلية تاسيم بي في، عبد القادر
كيلاكاراي، تمل نادو – الهند

**الملخص:**

يستهدف هذا البحث تتبُّع روايات الأديب البارع محمد عبد الحليم عبد الله، التي مزج فيها بين آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والتي أعطاها من خلال ذلك المزج اتجاهًا إسلاميًّا وأخلاقيًّا، ينمُّ عن تديُّن الكاتب، والبعد الإنساني لديه، من خلال عددٍ من المقاطع في الروايات. كما أورد محمد عبد الحليم عبد الله تعبيرات عبَّرتْ عن ذلك المزجِ أيضًا في سياقات مختلفة خلال الحوارات بين الشخصيات الروائية والقصصية، التي زادت من قيمتها البلاغية، وأَثْرَتِ النصَّ بجمالٍ غير معهود. ولذلك ركَّزتْ هذه الدراسة على دراسة أدب محمد عبد الحليم، وعلى اتجاهه الإسلامي باستخراج الملامح الإسلامية والأخلاقية في رواياته.

الكلمات المفتاحية:
- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية
- أدب محمد عبد الحليم
- الاتجاه الإسلامي
- إشارات

**ABSTRACT:**

**This article is concerned with tracing the novels of the brilliant writer Muhammad Abdul Halim Abdullah which are characterized by a mixture of Qur'anic verses and prophetic hadiths, giving them an Islamic and moral inclination, and as a result, reflecting the writer's religiosity and humanity, which was evident in several passages in the novels. Muhammad Abdul Halim Abdullah cited Qur'anic and hadith expressions in various contexts in the dialogues between the characters of his novels and stories, which increased their rhetorical value and enriched the text with unique beauty. This study focuses on studying the author's literature, and on his Islamic inclination by extracting Islamic and moral features from his novels.**

**Key Words:**

- **Quranic verses**
- **Prophetic hadiths**
- **Literature of Muhammad Abd al-Halim**
- **Islamic inclinations**
- **Signs**

**المقدمة**

محمد عبد الحليم عبد الله لم يكن مهتمًا بالاتجاه الرومانسي في إنتاجه الأدبي فحسب -كما عرف عنه-، بل تخلَّل إنتاجَه الأدبيَّ الاتجاهُ الإسلامي كثيرًا؛ إذ كان اقتباسُه - من القرآن أو الحديث النبوي- فى أدبه كان جليًّا في أعماله، وزادَ كتابتَه رصانة وجمالًا، وسما بها إلى آفاق رَحْبَةٍ جديدة من الروعة والجمال؛ إذ إنَّ من الصعبِ في دراسةٍ كهذهِ استيعابَ هذه الاقتباسات كلّها في أدبِ الأدباء جميعًا، لذلك اقتصرتْ هذه الدراسة على تتبع التعبيرات والألفاظ والمعاني القرآنية والأحاديث النبوية والإشارات والتضمينات الإسلامية فى ضوء أدب محمد عبد الحليم عبد الله.

الكاتب محمد عبد الحليم عبد الله ضمنَ جيلِ المخَضرَمين من كُتَّابِ الرواية والقصة المصرية الحديثة، وهو من الجيل الذي ينتمي إليه نجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس، ويوسف السباعي، وعبد الحميد السحَّار، ويوسف إدريس، وغيرهم، وهُمْ يُعَدُّون في المرحلة الثانية (مرحلة النضج والتخصص)، التي تلي مرحلة النشأة والتأصيل، وتمتد من سنة 1945م إلى 1967م. ويُعَدُّ عبد الحليم عبد الله من أبرز كُتَّاب القصة الرومانسية والواقعية في هذه المرحلة[1]، وهو أحد رموز الرواية في الأدب العربي الحديث، ومن أكثر الذين تحوَّلتْ أعمالُهم الأدبية إلى أفلام سينمائية؛ بسبب ما تميَّز به من ثراء في الأحداث والشخصيات والبيئة المحيطة بها، وهى الخصائص التي ميَّزتْ أعماله من أعمال الروائيين من جيله.

وُلِد محمد عبد الحليم عبد الله عام 1913م في قرية "كفر بولين"[2]، بمحافظة البحيرة، وكان في مرحلة تعليمه المبكِّرة قد أُعجِب بالمنفلوطي، والعقَّاد، وطه حسين، ومحمود تيمور عربيًّا، وفي الآداب الأجنبية من الفرنسيين كان متأثرًا ببلزاك وستاندال، ومن الإنجليز توماس هاردي، وجرين، وموم، ومن الروس كُلّ كُتَّاب ما قبل الثورة: ديستويفسكي، وجوحول، وتولستوي، وتشيكوف، وجوركي، وبالأخص تولستوي؛ إذ كان كثيرًا ما يفصح عن إعجابه بـ(تولستوي) في حديثه مع محمود تيمور، ويقول عن سبب حُبِّه "أحببت الرجل الذي نادى بأن يأخذ كل إنسان من الأرض ما يكفيه".

يقول صالح جودت: "عبد الحليم عبد الله موهبة مصرية ريفية خالصة، صقلتْها ثقافة عربية إسلامية واضحة، وألمت بها تقاليد ريفية صافية"[3]، إنه كان يدرك حقيقة أن الوضع السياسي في مصر في عصره كان ضدَّ عامة الناس؛ إذ كانوا يعانون من النظام الحاكم في ذلك الوقت، وكانت هناك جملةٌ من المخالفات في المجتمع؛

إذ وقعتْ حوادثُ اغتصابٍ، وظلمٌ للمزارعين، ونظام غير عادل عند توزيع الأراضي عليهم، وما إلى ذلك، فحاول عبد الحليم عبد الله جاهدًا لإنهاء كل الشرور الاجتماعية التي وجدت في القرى ومدن مصر.

من الواضح أنه سعى إلى فضح الفساد الاجتماعي والنفاق والقمع والهيمنة والحالات التي تخلق جوًّا يسود فيه الظلم الاجتماعي.

أمَّا فيما يتعلق بموضوعات كتاباته، فهناك وصف دقيق للعواطف الإنسانية حتَّى طفتْ ألفاظ الهمِّ والحزن، والحب، والمرأة، والشك، والموت، والحرية وغيرها[4]. فصوَّر محمَّد عبد الحليم المجتمع المصري مع التأكيد الخاص على سلوكٍ فظيعٍ لطبقةٍ من القسم الرائد تمارسُه على عامة الشعب، مثل الخدم حتى عامة الناس يتعرضون للتعذيب الجسدي من قبل ما يسمى بنخبة المجتمع من الناس، وحثهم على القيام ضد الظلم، وكَتَبَ القصص للمجتمع من أجل الدفاع عن حريَّتهم ضد الظلم، وأهمية النفس الإنسانية بامتزاج النزعة الاسلامية.

لقد قدَّم محمد عبد الحليم عبد الله خلال حياته الأدبية عددًا كبيرًا من الأعمال الروائية والقصصية والنقدية والحوارية، منها أربعة عشر عملًا روائيًا، مرتَّبةً على النحو الآتي: (لقيطة-1947م)، و(بعد الغروب-1949م)، و(شجرة اللبلاب-1950م)، و(الوشاح الأبيض-1950م)، و(شمس الخريف-1951م)، و(غصن الزيتون-1955م)، و(من أجل ولدي-1957م)، و(سكون العاصفة-1960م)، و(الجنَّة العذراء-1963م)، و(الباحث عن الحقيقة-1966م)، و(البيت الصامت-1966م)، و(للزمن بقيَّة-1969م)، و(قصة لم تتم-1971م). هذا إلى جانب تسع مجموعات قصصية هي: (النافذة الغربية-1954م)، و(أشياء للذكرى-1956م)، و(الماضي لا يعود-1956م)، و(ألوانٌ من السعادة-1958م)، و(الضفيرة السوداء-1965م)، و(حافة الجريمة-1966م)، و(خيوط النور-1967م)، و(أسطورة من كتاب الحب-1968م)، و(جولييت فوق سطح القمر-1970م). كما صدر له ثلاثةُ كتبٍ نقديَّةٍ وحواريَّةٍ بعد وفاته هي: (لقاء بين جيلَيْنِ-1973م)، و(قضايا ومعارك أدبية-1975م)، و(الوجه الآخر-1977م).

وقد لقّنه أخوه عبدُ الوارثِ وأوصاه بالتمسُّك بالقيم والصدق في بداية عمله. وبعد أن كبر وصار أحدَ كُتَّاب الصف الأول في عالم القصة لم يكنْ ليقطع علاقته بقريته، بل استمرَّ في زيارتها بانتظام؛ لأن ذلك من أهمِّ مسؤولياته، التي برزتْ بعد أن تخرَّج، واتجه إلى العمل.

يمكن تحديد مشاكل محمد عبد الحليم وأهدافه بعد تخرُّجه في مجالَيْنِ، كما أشار إلى ذلك يوسف حسن نوفل: أحدهما: وهو يتصل بأسرته الفقيرة تنفيذًا لوصية أمه أن يكون مثالًا لهم، وقدوة بالاختصاص[5]. لذا "اختارت رواياته وأقاصيصه شرائح صغيرة من حياة أبناء الطبقتين المتوسطة والفقيرة من الفلاحين وغيرهم، وكانت تستند دائمًا إلى القيم الأخلاقية، وإلى الفضيلة"[6]. والمجال الآخر: عامٌّ يتصل بالحياة الأدبية في مصر، ويتلخَّص في: كراهية الارتزاق بالأدب، ومحاربة التكتل، ونزع الأحقاد، والعمل على خلق جيل أدبي جديد من الشباب، والنأي عن المذهبية والتشيُّع العقدي[7].

## المبحث الأول:

## الآيات القرآنية فى أدب محمد عبد الحليم عبد الله:

### ١ – النافذة الغربية:

- قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[8].

جاء هذا الجزء من الآية فى هيئة حُلمٍ، حَلُمَ به العمُّ حسب الله، الفلاح المطرود من أرضه، وقد عاش فى المدينة منفيًا أعوامًا عدَّةً، ثم حلم أنه يصلِّي ويقرأ هذه الآية في قصة (عائد إلى القرية)، إذ قضى الفلاح عمره لا يرى غير حدود المزرعة التى يعمل بها، لكنَّ ما عاناه من اضطهاد الإقطاعي جعله يوقن أنَّ أرض الله واسعة جدًّا، ومن هنا كان المنفى، أو ما يقابل الهجرة، وكان الحلم بشيرًا بتغيُّر الحال؛ إذ أصبح من الممكن أن يعود إلى قريته بعد أن زالت سطوة الإقطاعي.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[9].

استعان الكاتب بالمذياع ليدفع سياق القصة بهذه الآية، التي تُعَدُّ إجمالًا لعُقدَتِها، وهي بالنسبة لتركيبها تُعَدُّ (نقطة التنوير)، التي تتجمع عندها جميعُ معطياتِ النسيجِ القصصيِّ، ويكتملُ بها معنى الحدث: الفلاح البائس يأكل لقمته اليابسة تحت شجرة شحيحة الظل، يمر به طبيب بيطري كان فى مهمة، فيقف تحت

الشجرة يبادله الحديث، يمرُّ بهما سيِّدان من الأثرياء أصحاب الأراضي، أحدهما يركب فرسه ويتبعه حارسٌ وكلبٌ ضخم، والآخر يركبُ سيارته، يكفُّ الفلاحُ عن تناول طعامه محرجًا، ويقفُ، ولكنَّ الثريَّيْنِ يتجاهلانه كما يتجاهلان الآخر، فلا يبادلانهما تحيَّةً أو أيَّ كلمة، ويستغرقان فى حديثهما الخاص، وهنا تنطلق الآية من مذياع السيارة، لتؤكد أن الوضع الذي لا يحترم كرامة الإنسان لا يمكن أن يدوم. يقول السطر الأخير فى القصة: "وسمعتُ الكهلَ العجوزَ يقول – وهو لا يزال معتمدًا على جذع الشجرة–: صدقَ اللهُ العظيم. وعيناه تلمعان باليقين والإيمان".

**٢– ألوان من السعادة:**

- قال تعالى: ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾[10].

إنَّ موضوع قصة (الكتيبة الصغيرة) حربُ السويس سنة ١٩٥٦م، ومكان القصة قريةٌ للصيادين قُربَ بور سعيد، أمَّا الكتيبة الصغيرة فهي عددٌ من الأطفال، يُقلِّدون الكبار، الذين شاهدوهم يهجرون زوارقَ الصيدِ؛ ليشاركوا فى الدفاع عن وطنهم، فلمْ ينسَ هؤلاء الأطفال أنْ يكتبوا اللافتات المشجِّعة مثل (الكبار حين يخرجون لقتال الكفار)، فكانت هذه الآية هي ما تبادرَ إلى خواطرهم.

- قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[11].

هذه الآية عثر عليها أحد الجنود الإنجليز فى أحد بيوت بور سعيد إبَّان حرب السويس، أعجبَهُ شكلُ نَقْشِها دون أن يعرف ما فيها، ظنَّها أحدُهم تعويذةً فرعونيَّةً، أو كلامَ النبيِّ. قصة (عزيزتي كاترين) فى شكل رسائل يبعث بها الجندي المحارب إلى خطيبته فى وطنه، ويعجب كيف لمْ تكن الحرب مجرَّد (نزهة) –كما قالوا له–، ويقرّر: (أنَّ أكبر قوة على وجه الأرض، لا تُسَانِدُه ا الرُّوح، لا تكونُ إلَّا شيئًا أعمى، أصمَّ، غاشمًا، مدمّرًا، كالبركان، لا يعملُ لحساب أحد، يدمِّرُ فحسب) - ويعلق على الآية، بعد أن عرف مضمونها، فى شكل سؤال وجواب:

– إنَّهم قَدَرِيُّون.

– إنهم ليسوا قدريين، إنهم يجدون ما يؤمنون به، وهذا هو الفرق بين الوجود والعدم.

- قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾[12].

فى قصة (عزيز) يتساءل الكاتب: كلُّ القضاء والقدر يتحكَّمُ فى الحيوان كما يتحكَّم في الإنسان؟ ويطرح تصوُّرَهُ للجواب من خلال رصده لحياة فَرَسٍ مُدَلَّلٍ عند أحد الأثرياء، وكان مختصًا به، يُحِبُّهُ ويُؤْثِرُهُ بالعناية، ثُمَّ مات الثَّرِيُّ عنْ غيرِ وارِثٍ من ولده، وتناهب الورثةُ التَّرِكَةَ وأهملوا الفرس، فتدهور حتَّى صُرِفَ سائسُه، ثُمَّ بِيعَ، وتدرَّج فى الأعمال حتَّى تحوَّل إلى جرِّ عربةِ خبزٍ – لقد ابتذل (العزيز) القديم – والكاتب فى عرضه لقصة هذا الفرس أشار إلى أنَّ القدرَ شاملٌ فى تحكُّمه جميع المخلوقات، فالناس المراقبون لمآل الأسرة يصفون ديار هذا الثَّرِيِّ بعد وفاته، وتقاسم تركته بالآية السابقة، وتتمَّتُها: (بِمَا ظَلَمُوا)[5]! وبهذا خضعتِ الديارُ أيضًا لحُكمِ القدر، وجنتْ عاقبة الظلم!!

- قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[13].

فى قصة (أرضي وعِرضِي)، التي تصوِّر الكفاح الوطنيَّ فى حرب بور سعيد، يبحث راوي الحكاية عن أحدث تفسير عمليٍّ للآية، فيرُدُّ أحد الفلاحين فى شبه ثقةٍ: "وهل هذه محتاجة إلى تفسير"؟ فحيث يتأصَّل الإيمانُ تنتصرُ الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله.

### ٣– الضفيرة السوداء:

في قصة (الليلة الأولى) إشارة إلى آية قرآنية لم يكشف عنها، مكتوبة بخط كبير، وضعتْها الأمُّ بإطارها وسطَ ملابس ابنها المسافر للعمل طبيبًا فى الرِّيف، وحين وصل إلى مقرِّ عمله علَّق صورة والدَيْهِ التذكارية، والآية القرآنية تجاه الشباك – تذكر الطبيب الآية أكثر من مرَّة، واستجاب لطلب النجدة فى الليل؛ لأنه تذكَّر أُمَّه عن طريق الآية. وحين اسْتُدعِيَ لمساعدة امرأةٍ تعسَّرتْ ولادتُها: ابتهل إلى الله أنْ يُنْجِيَها من أجل الحفاظ على سمعته الطيبة كطبيب، أمَّا زوج المرأة فكان "كُلَّما انفتح باب القاعة دخل إلى صوت الأب وهو يرتِّل القرآن بابتهال وترنيم"[14]، وقد تمكَّن من إنقاذ السيدة رغم خطورة حالتها، بحيلةٍ لطيفةٍ مكَّنتْه من حملها إلى المستشفى فى أقرب مدينة، ثم تأتي "لحظة التنوير"، بعد أن مضى الحادث بسلام: "كانت أشجار المركز الاجتماعي فى الليلة الثانية تزفى الحديقة والملعب، وكنتُ نائمًا وحدي أنظر إلى الآية القرآنية المعَلَّقة على

الحائط، وأسترجِعُ حوادثَ الليلة الماضية – لكنْ لمْ يكنْ قلبي في الليلة الثانية يحسُّ بالخوف، فلمْ تترُكِ السَّعادةُ فيه موضعًا يسكنُهُ الخوف"[15].

نلاحظ أنَّ الآية تتمتَّع بحضور قويٍّ، وهي التي تُوجِّهُ سلوك هذا الطبيب – ابن المدينة الذى يقضي فى الريف أوَّلَ ليلةٍ، وهي التي تربطه بأسرته، وبأُمِّهِ على وجهِ الخصوص، رغم أنَّ المؤلِّفَ لمْ يذكرْ نصَّ هذه الآية.

**المبحث الثاني:**

**الأحاديث النبوية في أدب محمد عبد الحليم عبد الله:**

## 1– أسطورة من كتاب الحب

إن أحزان بعض الناس قد تكون سببًا في هدم أفراح أناس آخرين – هيَّا ... البسي ملابسَكِ واذهبي إلى دار أبيكِ، وعليكِ، أنْ تَبْقَيْ هناك عندَ والدِكِ وشقيقك حتَّى تعود أختي زوجة أخيك إلى دار أبيك. ٨٢/٠، ٨٣.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما (أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن الشِّغَار، والشِّغارُ أنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابنتَه على أنْ يزوِّجَهُ الآخرُ ابنتَه، وليس بينهما صَدَاقٌ)[16].

وفي رواية مسلم: (لا شِغَارَ في الإسلام)[17].

(وهذه القصة ترصدُ واقعًا قريبًا من الشغار المنهيِّ عليه، وهو زواج "البدل"، ويحدث للبنت أو للأخت، وبصرف النظر عن مسألة الصداق، فإنَّ عملية المبادلة هذه تربط الزيجتين برباط واحد، وأيُّ تأثير في إحداهما ينعكس على الأخرى مباشرة – ولعلَّ هذه الخطر المحتمل هو جوهرُ النَّهيِ في الحديث الشريف).

## 2– الدموع الخرساء

كانت تجزم بأنَّ "الشيطان ثالثهما" دائمًا، ولا يمكن أن يقف بين الرجل والمرأة ملكٌ طاهرٌ يضعُ يدًا على صدر كلٍ منهما. ١٠٦/٠

- عن عمر رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم قال: (لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كان ثالثُهما الشيطانَ)[18].

## المبحث الثالث:

## إشارات وتضمينات إسلامية في أدب محمد عبد الحليم عبد الله

إنَّ استيعاب التجربة التاريخية الإسلامية يؤدي إلى أنْ تشعَّ هذه التجربة في فكر الكاتب وأسلوبه بمستوياتٍ متنوعة، تعرفنا على بعضها، ونستجلي الصورة ونستكملها بالتعرُّف على ظاهرة أخرى، لنْ تكونَ أقلَّ أهمية، ليس من الناحية الأسلوبية فحسب، بل من جانب التداعي النفسي، وحركة الخيال أيضًا. وسنكتفي في هذا المبحث بالتمثيل دون الحصر – وسنتدرج بالترتيب التاريخي للروايات ثم القصص القصيرة، حسب ما درجنا عليه آنفًا.

كيف ظهرت ليلى في رواية "لقيطة"، وعجبُها من "المجهول" الذي تواجهه، وتراه نقيضًا غير مقبول بقوانين الوجود نفسها؟ إنَّها تُحاكِي أساليب المعلِّمين في ربط الفعل بالفاعل: "إن الذي صنع هذا البابَ النجَّارُ، والذي بنى هذا البيت البنَّاءُ، والذي طرق حديدَ الشبَّاكِ الحدَّادُ، فكُلُّ شيءٍ لا بد له من صانعٍ، وكُلُّ موجودٍ لا بد له من مُوجِد"[19]، فهذا قانونٌ عقليٌّ فِطريٌّ، يَنشَأُ بتلقائيةٍ في عقلِ الإنسان، وقد لجأ إليه الأعرابيُّ بفطرته حين سُئِلِ عن الخالق؟ فقال: البَعْرَةُ تدُلُّ على البَعِيرِ، وأَثَرُ السَّيْرِ يَدُلُّ على المِسِير... إلخ. وقد ردَّدَتْ كُتُبُ العقيدةِ هذا الدَّليلَ نفسَهُ فيما بعد. وحين تحدَّثَتْ أحلامُ إلى ليلى وحدَّدَتْ لها الحُبَّ، فإنَّها استعملتْ عباراتٍ قال بها المتصوِّفة الإسلاميُّون بعد ذلك، وإن كانوا متأثِّرين بفلسفاتٍ عريقة[20].

وحين التقتْ ليلى بأمِّها المجهولة بطريقة غيرِ متعمَّدةٍ في آخر الرواية، فأظهرتْ هذهِ الأُمُّ ندمَها على قسوتها، ورأتْ أنَّها نالتْ حظَّها من الشقاء، ونادَتِ اللهَ أنْ: "يطهِّرني بالألم، ويُنَقِيَني بالعقاب"[21]، وهذا المنحى الأخلاقي سيطرَ على الرواية كُلِّها، في أوصاف السيد الأمين، وفي نظرةِ هذا الرجل الصالح إلى ليلى، وفي تعاطُفِ الفتى الذى أحبَّها ودوافعِ حُبِّه لها، ولكنَّها جنتْ أشواكًا كثيرة، لأنَّ الحياة ليستْ خيرًا خالصًا، ولأن الأشرار يدافعون عن الشرِّ رُبَّما بأقوى مِمَّا يدافعُ الأخيار عن طريقتهم في الحياة.

لقد كان الطابع الأخلاقي المثالي سائدًا أيضًا في الرواية الثانية "بعد الغروب"، لكنَّ البطل هذه المرة رجلٌ وليس فتاة، ومن ثَمَّ كانت "القوى المعارضة" لطموحه من نوع آخر، على أننا يمكن أن نجد إشارات جانبية أو روافد للخط الرئيس تُعطِي مفاهيم أخلاقية، وتثير بعض القلق تجاه معنى الصواب والخطأ، أو الخطيئة والبراءة، ففي القصة خبر في صحيفة عن رجل انتحر بعد أنْ فقد ثروته، وقد ضحَّى بحياته ليتمكن

أولادُه من الحصول على "التأمين"، وهو مبلغ يساعدهم على ممارسة الحياة. وبصرف النظر عن "مبدأ" التأمين، فإن الكاتب كشف عن قضيته من خلال مُحرِّر الصحيفة، وسأل علماء الأخلاق عن تصوُّرِهم لفعلِ هذا الرجل، هل هو انتحار، أو تضحية، أو استشهاد؟ ! كان بطل القصة يقرأ الخبر وهو يُحلَقُ شعرُه، وتوافق تساؤله مع انتهاء الحلَّاق من عمله، فبادره بقوله: نعيمًا – وكأنه يعلِّقُ على نهاية الرجل المنتحِر، ولكن بطل الرواية يتشكَّك في هذا الحكم[22]. وفي هذه الرواية تظهر لأول مرة المرأة المنحرفة من بيت صديقه صالح، الذي لا يرى ضرورة للزواج، ويقضي أيامه متنقِّلًا بين بيوت اللَّهو، لكنَّه يقعُ في الحُبِّ، حُبِّ إحداهُنَّ، وحين يقعُ، فإنه يلتمسُ مبرِّرًا دينيًّا لتحويل العشيقة إلى زوجة: "خير ما يفعل المرء في حياته يا أخي أنْ يَمُدَّ يده ليُنقِذَ نفسًا تردَّتْ في مستنقعِ الخطيئةِ على الرغم منها، أحبَبْتُها وأحبَّتْنِي، ولن أزال في إثرِها عالقًا بخطاها، حتى أعودَ بها، سالكين طريق النور"[23]، لقد حذَّر عبدُ العزيزِ صديقَه من "هذا الصِنفِ من النساء"، ولكنَّهُ لمْ يلتفتْ إليه، فحدث ما هو متوقَّعٌ للقارئ، ولكن الذي لمْ يكنْ متوقعًا أنْ ينقلبَ "هذا العربيد فجأة ومرة واحدة إلى متصوِّف زاهد"[24]، ومثل هذه الرواية قد تكرَّرتْ في مجال الوعظ عندَ ابْنِ الجَوْزِيِّ والسراج[25]، ومَنْ نَحَا منحاهما في التأليف عن الحب.

حاول عبد الحليم في "شجرة اللبلاب" أن يكتب رواية على أساس سيكولوجي، فأراد أن يوضح حياة الشاب المهندس، الذي يفقد أمه في مرحلة الطفولة، ويتزوَّج أبوه: الناظر العجوز العصبيُّ المزاج – فتاةً شابَّةً فقيرةً، التهمتْ كُلَّ عواطفه، وقد اطلع الطفل من سلوك هذه المرأة على ما يشكِّكُه في وفاء النساء، ومع أنَّ الحادثة الثانية التي رسخت الإحساس بعمق "الخيانة" عند المرأة، كان بطلُها رجلًا (عم غانم)، وإذا كانت الخطيئة الجنسية لا تتمُّ إلا بين رجلٍ وامرأة، فإنَّ مسوِّغاتِ اقتناعِ حُسْنِي بأنَّ المرأة بابُ الخطيئة تبدو واهيةً، كان صديقُه راشد أقربَ فَهْمًا لطبيعة المرأة منه[26]، ومع هذا فإنَّ حُسْنِي يُعبِّرُ عن حالة الانفصام في الحكم الأخلاقي، التي يعيشها المجتمع (المسلم) في عصرنا، فمع أن الخطيئة لا تُتَصَوَّرُ إلَّا من اثنين، ورغم أنَّ الشَّرعَ لمْ يُفَرِّقْ في العقوبة أو الحكم الأخلاقيِّ حسبَ الجنس (الرجل – المرأة)، بل حسبَ فُرَصِ الاستعفافِ، وبمقدار تضرُّرِ أطرافٍ أخرى (بِكْر – ثَيِّب) فإنَّ هذا المجتمعَ يفرِّقُ في تصوُّر "حجم" الخطيئة، كما يفرِّقُ في إصدار الحكم الأخلاقي بينَ الرَّجُلِ والمرأة! لقد كان حُسْنِي مثالًا للتناقض، وقد أراد له المؤلِّفُ أنْ يَشْفَى من "عقدته" بتضحية كبيرة يستحقُّها.

**الخاتمة:**

لقد ألف محمد عبد الحليم عبد الله كُتُبًا كثيرة في الرواية والمسرحية والقصة القصيرة وأدب الرحلة والنقد وغير ذلك، كانتْ تصدر عن نزعات واتجاهات مختلفة، مثل الاتجاه الرومانسي والتاريخي والواقعي وغير ذلك بأسلوب جيد. وقد أُعجِب بأسلوبه واعترف بمكانته المرموقة كبار الكُتَّاب والأدباء والفنانين في العالم العربي. بيد أنَّ الزعم عن المتَّجَهِ الفني أو المذهب الأدبي لكاتبنا أنه الرومانسي فحسب، وهذا يجانب النظرة الموضوعية والصدق في الرأي، فكل كاتبٍ يمرُّ بمراحل التطور والنمو، وكل مَنْ نادى بهذا الرأي وقف بكاتبنا عند مرحلةٍ من إنتاجه كان فيها ما يزال في بداية حياته الأدبية، ومن المؤسف حقًا أن بعض من أطلق أحكامًا نقديَّةً على كاتبنا كان يُطلِقُها اعتمادًا على "السماع" لا على القراءة والدرس، وتلك مأساةٌ نقديَّةٌ لا يقتصرُ ضررُها على كاتبنا فحسب، بل تعمُّ مجتمعَنا الأدبيَّ بأسره. لذا يمكن القول إن كاتبنا مرّ بالمرحلة الرومانسية، ثم انتقل منها إلى المرحلة الواقعية الرومانسية الممتزجة بالإسلامية، ثم أصبح حريصًا على الواقعية في آخر إنتاجه، وعلى شيء من الرمزيَّة في بعض أقاصيصه، ولم يكن ذلك عيبًا ينال من قيمته الأدبية.

ثمَّ عندما نلقي نظرة عميقة على أدب محمد عبد الحليم عبد الله نجدُه جاعلًا الرواية وسيلة لتطهير العواطف، والتعبير عن الأحزان والآلام الشخصية. كان في هذه المعالجة أقرب إلى السلفيَّة والمحافظة لعكوفه على الثقافة العربية، والنماذج المحلية، ونشاهده مهتمًّا بالزمن في الرواية أكثر من اهتمامه بالقيم الإنسانية.

**الهوامش:**

(1) القصة ديوان العرب قضايا ونماذج، د. طه وادي، ص: 77.

(2) تقع هذه القرية جنوبي كوم حمادة، شمالي قناطر "كفر بولين" وغربي رياح "البحيرة" وشمالي ترعة "النوبارية" وعلى بعد خمسة عشر كيلومترا من مركز "كوم حمادة"، وانظرها في كتاب "فن القصة عند محمد عبد الحليم عبد الله" لدكتور يوسف نوفل، ط1 -2011، ص: 7.

(3) فن القصة عند محمد عبد الحليم عبد الله، د. يوسف نوفل، ص: 25.

(4)ACritical Study of the Novel 'Ba 'da al-Ghurub' (After the Sunset) by Muhammad Abdul Halim Abdullah, Farid Uddin Ahmad , Pratidhwani the Eco, A Peer-Reviewed journal of Humanities & Social Science, Vol-III, Issue-IV, April 2015, pp. 59-62.

(5) آخر ساعة في 1969/3/26م، نقلًا: عن محمد عبد الحليم عبد الله حياته وأدبه، يوسف حسن، ص6.

(6) قاموس الأدب العربي الحديث، حمدي سكوت، ص499.

(7) محمد عبد الحليم عبد الله حياته وأدبه، يوسف حسن نوفل، بأدنى تغيير، ص7.

(8) سورة الفتح، من الآية: ٢٧، وفي قصة: (عائد إلى القرية) انظر مجموعة النافذة الغربية: ٩٢.

(9) سورة الإسراء، الآية: ٧٠، وجاءت فى ختام قصة: (الليل والعبيد) من المجموعة السابقة: ص ١٠٩.

(10) سورة الصف، من الآية: ١٣- وجاءت الآية فى سياق قصة: (الكتيبة الصغيرة) من مجموعة: (ألوان من السعادة)، ص ٦٥.

(11) سورة التوبة، من الآية: ٥١ – وجاءت فى قصة (عزيزتي كاترين) من المجموعة السابقة، ص٩٤.

(12) سورة النمل، من الآية: ٥٢ - وجاءت فى قصة (عزيز)، ص ١١٤ من الجموعة السابقة.

(13) سورة البقرة، من الآية: ٢٤٩ – وجاءت فى قصة: (أرضي وعرضي)، ص ١٩٩ من المجموعة السابقة-

(14) الضفيرة السوداء: قصة: الليلة الأولى: ص ١٤٦.

(15) الضفيرة السوداء: قصة: الليلة السابقة: ص ١٥٠.

(16) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الشغار، (12/7 رقم 5112) وصحيح مسلم، كتاب النكاح باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه رقم (1415).

(17) صحيح مسلم ، كتاب النكاح، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه رقم (1415).

18 سنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ (465/4 رقم 2165).

(19) لقيطة: ص: ٣٠

(20) تقول أحلام في تعريف الحب : إنه تفتح النفس للنفس، ومناجاة القلب للقلب، وكل شى في الوجود يحب شيئًا: فالزهر يخالف بين ألوانه ليسقط عليه مختلف النحل... فهو في دم الأحياء، وفي طبع كل موجود، لقيطة، ص: ٥٨.

(21) لقيطة، ص: ٢٠٥

(22) بعد الغروب: ص ٢٦ – ٣٨

(23) بعد الغروب: ص ٥٧

(24) بعد الغروب: ص ٢١٢

(25) في كتابي هما ذم الهوى، ومصارع العشاق، وفي مثل هذه القصص الوعظية قد يحافظون على صورة "خضراء الدمن"، ولكنه إذ تعذب عاشقها بالهجر فإنه يصل إلى نقاء النفس وخلاص الروح، وقد يحدث أن تنقلب المرأة الخطالة إلى الصلاح والزهد، حين تتجه هي إلى واحد من الزهاد، ولكن الإضافة التي أضافها عبدالحليم عبدالله أن شخصية صالح مغامرة أصلا، لكنها حين عرفت الحب الخالص، أى التعلق بشخص واحد بصرف النظر عن حقيقة هذا الشخص، فإنها اكتشفت حقائق إنسانية وربانية لم تكن معرفة من قبل، وكأن الحب فى ذاته قوة مطهرة مهما كانت شخصية المحبوب-

(26) يصف راشد المرأة بقوله: "عينة من الجنة في دنيانا الفانية، والدليل على أنها من هناك أننا ننسى المتاعب ونحن في أحضانها، أما كانت أو حبيبة، شريفة أو غير شريفة" انظر: شجرة اللبلاب، ص: ٩٤.

## المصادر والمراجع:


- **القرآن الكريم**
- آخر ساعة في ١٩٦٩/٣/٢٦ – في غابة العجائب التي يعود إليها كل ربيع – مأمون، مصر.
- سنن ابن ماجه، الإمام ابن ماجه، أشرفى آفيسٹ بک پرنٹرس.
- سنن النسائي أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، المجلد الثانى، ياسر نديم اينڈ كمپنى دارلكتاب ديوبند.
- شجرة اللبلاب، الناشر، مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى – الفجالة والمطبعة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار.
- صحيح بخاري، محمد بن إسماعيل، المجلد الأول ، أصح المطابع المكتبة الرشيدية، دهلي.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى، المجلد الأول و الثاني، أصح المطابع المكتبة الرشيدية، دهلي.
- فن القصة عند محمد عبد الحليم عبد الله" لدكتور يوسف نوفل، ط1 -2011، مكتبة لبنان ناشرون السلسلة: أدبيات، 1، يناير 1996.
- قاموس الأدب العربي الحديث، إعداد وتحرير دكتور حمدى سكوت، دارالشروق، الطبعة الثانية، القاهرة.

- القصة ديوان العرب قضايا ونماذج، د. طه وادي 2001، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.
- قصة: ''عائد إلى القرية'' من النافذة الغربية، الناشر، مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي – الفجالة والمطبعة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار.
- قصة "عزيزتى كاترين"
- قصة: ''الكتيبة الصغيرة'' من مجموعة: ''الوان من السعادة، الناشر، مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى – الفجالة والمطبعة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار.
- قصة : الليلية الأولى من الضفيرة السوداء، الناشر، مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى – الفجالة والمطبعة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار.
- لقيطة، الناشر، مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى – الفجالة والمطبعة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار.
- محمد عبدالحليم عبدالله حياته وأدبه، يوسف حسن نوفل، عمادة الشؤون المكتبات، كلية الأداب – جامعة الرياض، ١٩٨١.
- مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، المجلد الثاني، المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ مصر.
- A Critical Study of the Novel 'Ba 'da al-Ghurub' (After the Sunset) by Muhammad Abdul Halim Abdullah, Farid Uddin Ahmad , Pratidhwani the Eco, A Peer-Reviewed journal of Humanities & Social Science, Vol-III, Issue-IV, April 2015